

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[494] المنزلة التي نالها أنبياء الأ في الدنيا، وسيلتذون بما التذ به الأنبياء من تكليم إلهي... وأية لذة أعظم من هذه اللذة؟! أضف إلى ذلك إن الأ ينظر إليهم بعين لطفه، ويطهرهم بماء عفوه ورحمته، وأية نعمة أعظم من هذه النعمة؟! بديهي أن تكليم الأ عبادة لا يعني أن الأ له جسم ولسان، بل إنه بقدرته الواسعة يخلق في الفضاء أمواجاً صوتية خاصة قابلة للسمع والإدراك، (كما كلام الأ موسى عند جبل الطور)، أو أنه يتكلم مع خاصة عباده بلسان القلب عن طريق الإلهام. على أية حال، هذا اللطف الإلهي الكبير، وهذه اللذة المعنوية المنقطعة النظير، للعباد المخلصين الذين ينطقون بالحق ويعرّفون الناس بالحقائق، ويلتزمون بعهودهم ومواثيقهم، ولا يضحون برسالتهم من أجل مصالحهم المادية. وقد يسأل سائل عن تكليم الأ المجرمين يوم القيامة، استناداً إلى ما ورد في الآيات كقوله تعالى: (قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون) (1). وهذا جواب من الأ لأولئك الذين يطلبون الخروج من النار. ومثل هذا الحوار نجده في الآيتين 30 و 31 من سورة الجاثية. والجواب: أن المقصود من التكليم في آيات بحثنا، هو تكليم عن لطف وحب واحترام، لا عن تحقير وطرده وعقوبة فذلك من أشدّ الجزاء. من الواضح أن عبارة (يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) لا تعني السماح بأن يشتروا به ثمنًا باهظًا، فالمقصود أن الثمن المادّي مهما زاد فهو تافه لا قيمة له أمام كتمان الحقّ، حتى ولو كان الثمن الدنيا وما فيها. الآية التالية تحدد وضع هذه المجموعة وتبين نتيجة صفقتها الخاسرة وتقول: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ).

1 - المؤمنون، 108.